العُلوُّ فِي الأَرضِ: حِينَ تَفْقدُ القُوَّةُ إِنْسَانِيَّتَهَا

رئيس التحرير
د. محمد محمود مرتضى

لا تعتبر قضيةُ الاستكبار في القرآن الكريم قضيةً جزئيةً تتَّصل بسلوك فردي معزول؛ إذ هي من القضايا المحورية التي تكشف طبيعة الصراع الإنساني عبر التاريخ؛ لأنّ القرآن ينظر إلى المُستكبِر بوصفه مشروعًا يُنتج الهيمنة، ويعيد تشكيل الوعي، ويصوغ منظومات القهر والفساد والانحراف. ولذلك يتكرّر حضور المُستكبِرين في القصص القرآني، باعتبارهم نموذجًا متجدِّدًا يعيد إنتاج نفسه بأسماء، وأدوات، وصور مختلفة.

من هنا، نفهم لماذا يبدأ القرآن الكريم غالبًا معركة الهداية بكشف البنية النفسية والفكرية للاستكبار قبل الحديث عن مظاهره السياسية أو الاقتصادية؛ لأنّ أصل الاستكبار يكمن في موقف الإنسان من الحقيقة ذاتها. يقول تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الأعراف: ١٤٦]، فالاستكبار هنا هو أكبر من كونه مجرَّد شعور بالتفوق، وإنَّما حالة انسداد وجودي تجعل الإنسان غير قادر على رؤية الحقّ حتى لو كان ظاهرًا، فلقد ارتبط الاستكبار في القرآن بالعمى المعنوي، وبالتعطيل المقصود للبصيرة، وبالتمرُّد على مقتضيات الهداية.

ولعلّ النموذج الأوَّل الذي يقدِّمه القرآن في هذا السياق هو نموذج (إبليس)، الذي

لم يكن جاهلاً بالله تعالى، ولا منكرًا لوجوده، لكنَّه سقط حين تحوّلت الذات إلى معيار للحقيقة، فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢]. ومنذ تلك اللحظة صار الاستكبار لحظة تأسيسية في تاريخ الانحراف الإنساني؛ لأنّ المشكلة لم تكن في المعرفة بل في الإرادة التي رفضت الخضوع للحقّ. ويكشف القرآن عن أنَّ أخطر أشكال الانحراف قد تكون نتيجة تضخم الذات حتى تصبح عاجزة عن الاعتراف بما يهدِّد امتيازاتها أو صورتها عن نفسها.

ثمَّ تتوسَّع الظاهرة في النماذج القرآنية لتتحوَّل من موقف فردي إلى بنية حضارية كاملة. فـ (فرعون) كان نموذجًا لدولة الاستكبار التي تحتكر القوة والسردية معًا، إنّها لحظة مصادرة الوعي الجماعي؛ حيث يتحوَّل المُستكبِر إلى مرجعية مطلقة تحدِّد للناس كيف يفكِّرون، وكيف يرون العالم، فيصبح الاستكبار احتلالاً للإدراك نفسه.

ولهذا يربط القرآن دائمًا بين الاستكبار والفساد؛ لأنّ المُستكبِر يسعى إلى إعادة تشكيل القيم والمفاهيم بما يحفظ منظومة الهيمنة.

إنّ أهمية العودة إلى مفهوم الاستكبار اليوم تنبع من أنّ العالم المعاصر يشهد تحوُّلات هائلة في أدوات السيطرة، بينما يبقى الجوهر واحدًا. فالاستكبار بات يمارس حضوره عبر الإعلام، والاقتصاد، والتكنولوجيا، وإعادة تشكيل الوعي الجمعي، وصناعة المعايير الثقافية العالمية. لقد أصبحت الهيمنة أكثر قدرة على التغلغل في العقول، وفي خلق الرغبات وتوجيهها. ومن هنا، تبدو المقاربة القرآنية للاستكبار شديدة الراهنية؛ لأنَّها تكشف الجذور العميقة للهيمنة مهما تبدلت أشكالها.

إنّ القرآن، حين يتحدَّث عن المُستضعفين، يقدِّمهم بوصفهم طاقة التغيير الكبرى. يقول تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص: ٥]. فالقرآن يؤسِّس لوعي التحرُّر، ولا يكتفي بوصف الواقع، وإنَّما يفتح أفقًا تاريخيًّا يتجاوز لحظة القهر نحو مشروع التمكين والعدل.

أوَّلًا: الاستكبار في القرآن – من الخُلُق الفردي إلى البنية الحضارية

حين يتحدَّث القرآن الكريم عن الاستكبار، فإنَّه يقدّم مفهومًا مركَّبًا يكشف طبيعة الانحراف حين يتحوَّل الإنسان أو الجماعة إلى مركز مغلق للحقيقة، والقوَّة، والمعنى. فإنّ الاستكبار في الرؤية القرآنية هو موقف وجودي من الحقّ، يتجلّى في رفض الخضوع لله تعالى، وفي محاولة إخضاع الآخرين لإرادة المُستكبِر ومنظومته.

ومن هنا، نفهم لماذا يربط القرآن بين الاستكبار وبين الإعراض عن آيات الله تعالى. يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠]. فالاستكبار هو رفض العبودية لله، أي رفض الاعتراف بمرجعية أعلى من الذات. إنّ المُستكبِر في المنظار القرآني يريد أن يكون المرجع النهائي الذي لا يخضع لميزان فوقه.

يكشف القرآن البُعد المعرفي للاستكبار قبل بُعده السلوكي. فالمشكلة ليست دائمًا في نقص المعرفة، وإنَّما في الإرادة التي ترفض التسليم للحقيقة. يقول -تعالى- عن بعض أهل الكتاب: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**﴾ [النمل: ١٤]. فالعلوّ هو الاستكبار الذي يحوِّل المعرفة نفسها إلى أداة صراع مع الحقّ بدل أن تكون سبيلاً إليه. ومن أخطر ما يلفت إليه القرآن أنّ الإنسان قد يعرف الحقيقة ثمَّ يرفضها؛ لأنّ قبولها يهدِّد موقعه، أو امتيازاته، أو صورته المتخيَّلة عن ذاته.

إنّ الاستكبار هو بنية داخلية تنتج رؤية معيَّنة للعالم. فالمُستكبِر يرى نفسه مركزًا، ويرى الآخرين تابعين، ويرى الحقّ خاضعًا لمصالحه لا معيارًا يحاكمه.

يظهر الاستكبار في القرآن بوصفه ظاهرة جماعية تنتج نُظُمًا اجتماعية وسياسية كاملة. فلقد أسّس(فرعون) بنية استكبارية أعادت تشكيل المجتمع على أساس الهيمنة، والتفكيك، والسيطرة. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا**﴾ [القصص: ٤]. إنّ "العلوَّ" هو عملية هندسة للمجتمع تقوم على التفريق، والاستضعاف، وصناعة التبعية. ولذلك، فإنّ القرآن يصف النظام الذي ينتجه الاستكبار.

ومن اللافت أنّ القرآن يستعمل تعبير "الملأ" في كثير من قصص الأنبياءﷺ، مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ [الأعراف: ٨٨]. فالاستكبار هنا فعل طبقة تمتلك النفوذ والسلطة والقدرة على التأثير في الوعي الجماعي. إنّ "الملأ" في القرآن يمثِّلون البنية التي تحرس مصالح الهيمنة، وكانوا -غالبًا- أوَّل من يقف في وجه الأنبياءﷺ؛ لأنّ الرسالة الإلهية لا تهدِّد فقط العقائد الفاسدة، وإنَّما تهدِّد أيضًا الامتيازات التي بُنيت على الظلم والاستغلال.

ولهذا، فإنّ القرآن يربط الاستكبار دائمًا بمحاولة السيطرة على الإدراك الإنساني. فالمُستكبِر يريد احتلال الوعي ذاته. ومن هنا نفهم قول (فرعون): ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]. إنّها ذروة الاستكبار المعرفي؛ حيث يتحوَّل الحاكم أو الطبقة المهيمنة إلى مرجعية تحدِّد للناس كيف يفكِّرون، وما الذي يجب أن يُرى أو يُفهم أو يُصدَّق. وهنا، لا يعود الاستبداد مجرَّد قهر سياسي، بقدر ما يصبح صناعة للإدراك، وإعادة تشكيل للوعي الجمعي.

وفي هذا السياق تتَّضح خطورة الاستكبار المعاصر؛ لأنّ أدوات السيطرة لم تعد تعتمد فقط على القوَّة العسكرية أو البطش المباشر، وإنَّما أصبحت ترتكز على إنتاج المعاني، والصور، والسرديات. لقد باتت الهيمنة الحديثة أكثر قدرة على اختراق العقول عبر الإعلام، والثقافة، والتكنولوجيا، وإدارة الرأي العام. فتبدو المقاربة القرآنية شديدة العمق؛ لأنَّها تكشف أنَّ جوهر الاستكبار ثابت وإن تغيَّرت أدواته. فالمُستكبِر في كلّ عصر يسعى إلى احتكار القوَّة الحقيقة معًا.

لا يكتفي القرآن بإدانة الاستكبار خُلُقيًّا بل يقدّمه بوصفه خطرًا حضاريًا يهدِّد إنسانية الإنسان نفسها؛ لأنّ المُستكبِر حين يرفض الخضوع لله -تعالى- ينتهي غالبًا إلى مطالبة الآخرين بالخضوع له. ومن هنا، تتولَّد كل أشكال الاستعباد السياسي والاقتصادي والثقافي. ولذلك، فإنّ معركة الأنبياء مع المُستكبِرين كانت صراعًا بين مشروع تحرير الإنسان ومشروع تحويله إلى تابع داخل منظومات الهيمنة.

إنّ القرآن، وهو يعرض نماذج المُستكبِرين عبر التاريخ، يريد بناء وعي قادر على اكتشاف الاستكبار بأشكاله المتجدِّدة. فالمُستكبِر قد يكون فردًا، وقد يكون دولة، وقد يكون منظومة إعلامية أو اقتصادية أو ثقافية. لكنّ العلامة الجوهرية تبقى واحدة: رفض الحقّ حين يهدِّد الهيمنة، ومحاولة إعادة تشكيل الإنسان بما يخدم استمرار السيطرة. إنّ فهم الاستكبار في القرآن ضرورة لفهم طبيعة الصراع في العالم، وكيف تتحوَّل القوَّة حين تنفصل عن الهداية إلى مشروع لإفساد الإنسان والتاريخ معًا.

ثانيًا: المُستكبِرون في النماذج القرآنية الكبرى

يقدّم القرآن الكريم المُستكبِرين بوصفهم نماذجَ كاشفة لطبائع الانحراف حين تتحوَّل القوَّة إلى أداة تأليه وهيمنة. لا يُبنى القصص القرآني على مجرَّد السرد، وإنَّما على كشف السُّنَن التي تتكرَّر عبر العصور. فالمُستكبِر في القرآن يمثِّل بنية نفسية وحضارية قابلة لإعادة الإنتاج كلّما توفَّرت شروط الطغيان وغياب الوعي.

ويبدأ القرآن غالبًا من الجذر الأوَّل للاستكبار: استكبار (إبليس). فـ (إبليس) لم يكن يجهل الله تعالى، ولم يكن يفتقد المعرفة أو العبادة، لكنَّه سقط حين تحوَّلت الذات إلى مركز للحقيقة، فقال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢]. إنّ هذه الآية تكشف البنية العميقة للاستكبار: قياس الحقّ بمعيار الذات، لا قياس الذات بمعيار الحقّ. ولهذا، فإنّ مشكلة (إبليس) لم تكن فكرية بقدر ما كانت وجودية؛ لأنّه لم يحتمل أن يتقدّم عليه من لا يراه جديرًا بالتكريم.

يكشف الاستكبار الإبليسي خطر المقارنة المتعالية التي تنتج الاحتقار والإقصاء. ثمَّ ينتقل القرآن إلى النموذج السياسي الأوضح للاستكبار: (فرعون). وإذا كان (إبليس) يمثِّل الاستكبار الوجودي الأوَّل، فإنّ (فرعون) يمثِّل انتقال الاستكبار إلى نظام حكم كامل. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [القصص: ٤]. إنّ "العلوّ" هنا هو حالة استعلاء تجعل الحاكم يرى

نفسه فوق الناس، وفوق الحقّ، وفوق التاريخ. ولهذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. إنّها ذروة الاستكبار حين تتحوَّل السلطة إلى ادعاء للمرجعية المطلقة.

لكنّ القرآن لا يركّز فقط على طغيان (فرعون) الشخصي، وإنَّما يكشف الآليات التي استخدمها لصناعة الهيمنة. فهو صحيح أنَّه حكم بالقوَّة، لكنَّه أضاف إليها التحكّم بالإدراك الجماعي أيضًا. ولذلك قال لقومه: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ﴾ [غافر: ٢٩]. إنّ المُستكبِر هنا يريد احتكار الرؤية نفسها، بحيث يصبح الناس عاجزين عن التفكير خارج السقف الذي يفرضه عليهم. وعليه، تبدو الفرعونية في القرآن مشروعًا لإعادة تشكيل الوعي، وليست مجرَّد نظام قمع سياسي.

ولذلك ربط القرآن بين استكبار (فرعون) وبين صناعة الاستضعاف. يقول تعالى: ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٤]. فالاستكبار يحتاج دائمًا إضافة للهيمنة، إلى إنتاج فئات مكسورة نفسيًّا واجتماعيًّا كي تستمرّ السيطرة؛ فإنّ المُستكبِر كما يخاف من القوَّة العسكرية للمُستضعفين، فإنَّه يحاف قبل ذلك أيضًا من وعيهم، وإرادتهم، وقدرتهم على استعادة إنسانيتهم.

ثم يقدّم القرآن نموذجًا آخر لا يقلّ خطورة: نموذج (قارون). فإذا كان (فرعون) يمثِّل استكبار السلطة، فإنّ (قارون) يمثِّل استكبار الثروة. يقول تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦]. ومن اللافت أنّ القرآن لا يربط البغي هنا بالفقر أو الحرمان، وإنَّما بالوفرة حين تنفصل عن الإنسانية. لقد تحوَّلت الثروة عند (قارون) إلى شعور بالاستغناء الكامل، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. إنّها عقلية تؤلّه الذات وتلغي البُعد الاجتماعي والخُلُقي للنعمة.

ويكشف القرآن عن أنَّ الاستكبار الاقتصادي هو تحويل الثروة إلى أداة تعالٍ وهيمنة، وإعادة تشكيل للقِيم. كما انجذب الناس إلى مظاهر (قارون) حيث قالوا: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ

﴿مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ [القصص: ٧٩]. فالاستكبار كما يفرض نفسه بالقوَّة، كذلك يفعل بالإبهار أيضًا.

ولا يقتصر القرآن على هذه النماذج الفردية بل يتحدث باستمرار عن "الملأ" بوصفهم الحاضنة الجماعية للاستكبار. ففي مواجهة الأنبياءﷺ، غالبًا ما كان أوَّل المعارضين هم الطبقات النافذة التي شعرت بأنّ الرسالة تهدِّد امتيازاتها. يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [المؤمنون: ٣٣]. إنّ الترف هنا هو بنية نفسية تجعل الإنسان أسيراً لمصالحه وخائفًا من أي تغيير يهدد منظومة الامتياز.

واجه الأنبياءﷺ شبكات كاملة من المصالح السياسية والاقتصادية والثقافية. وهذا يجعلنا نفهم لماذا كانت مقاومة الوحي غالبًا صادرة عن القوى الأكثر نفوذًا؛ لأنّ الرسالة الإلهية تهدِّد البنى التي تقوم على الظلم والاستغلال.

ثم يأتي نموذج (قريش) في مواجهة الرسالة المُحمَّديَّة، ليكشف بُعدًا آخر من أبعاد الاستكبار. فـ(قريش) لم تكن تجهل صدق النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. لقد كانت المشكلة أعمق من مجرَّد خلاف فكري؛ لأنّ الإسلام هدَّد بنية السيطرة القبلية والاقتصادية والرمزية التي بنتها (قريش) حول الكعبة، والتجارة، والنسب، والنفوذ.

كان استكبار قريش قائمًا على الخوف من فقدان المركزية التاريخية، حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]؛ إذ لم يقتصر رفضهم على مضمون الدعوة فحسب، وإنَّما رفضوا التحول الذي ستنتجه في بنية المجتمع والسلطة.

إنّ الجامع بين هذه النماذج كلّها أنّ الاستكبار يبدأ غالبًا من تضخُّم الذات، لكنَّه لا يبقى محصورًا داخل النفس بل يتحوَّل إلى مشروع لإخضاع الآخرين وصناعة أنظمة تحفظ الامتيازات بالقوَّة، أو بالخوف، أو بالإبهار، أو بالتحكُّم بالوعي. فالقرآن يقدّم هذه الشخصيات باعتبارها تحذيرًا دائمًا من قابلية الإنسان لإعادة إنتاج الفرعونية، والقارونية، والإبليسية، بأشكال جديدة.

إنّ أخطر ما في الاستكبار هو ما يفعله بالمُستكبِر نفسه؛ لأنَّه يعزله تدريجيًا عن الحقيقة حتى يصبح أسيرًا لوَهْم القوَّة المطلقة. ولذلك، كانت نهاية المُستكبِرين في القرآن دائمًا سقوطًا مدويًّا يكشف، هشاشة القوَّة حين تنفصل عن الحق. فـ (فرعون) غرق، و(قارون) خُسف به، و(إبليس) صار رمزًا للعنة الأبدية؛ لأنّ الاستكبار مهما بدا منتصرًا يظلّ في حقيقته مشروعًا يصارع سُنَن الله والتاريخ معًا، ولهذا يحمل أسباب انهياره في داخله منذ اللحظة الأُولى.

ثالثًا: الآليات النفسية والمعرفية للاستكبار

لا يكتفي القرآن الكريم بوصف أفعال المُستكبِرين وجرائمهم الظاهرة، بل يتوغَّل في البنية النفسية والمعرفية التي تُنتج الاستكبار أصلاً؛ لأنّ القرآن يريد تفكيك الجذور التي تجعل الإنسان قابلاً للتحوُّل إلى مُستكبِر أو قابلاً للخضوع لمنظومات الاستكبار. فالخطاب القرآني يتعامل مع الاستكبار بوصفه انحرافًا في الرؤية قبل أن يكون انحرافًا في السلوك، وبوصفه خللاً في العلاقة بالحقيقة قبل أن يكون مجرَّد نزوع إلى السيطرة.

ولعلّ أوَّل ما يكشفه القرآن في هذا السياق هو أنّ الاستكبار يبدأ غالبًا من تضخّم الذات حتى تتحوَّل إلى مرجع أعلى من الحقّ نفسه. يقول تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**﴾ [الجاثية: ٢٣]. فالهوى هنا يشير إلى لحظة تصبح فيها الذات هي المعيار النهائي للحكم والتقويم.

يربط القرآن بين الاستكبار وبين "اتباع الهوى"؛ لأنّ الهوى حين يتحوَّل إلى مركز للوعي يُعطّل القدرة على الرؤية الموضوعية. فالإنسان لا يعود يبحث عن الحقيقة، بقدر ما يبحث عمّا يؤكِّد ذاته ويحفظ مصالحه. ومن هنا، نفهم لماذا كان كثير من المُستكبِرين في القرآن يعرفون صدق الأنبياء عليهم السلام ثمَّ يرفضونهم. يقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ [البقرة: ١٤٦]. إنّ المشكلة لم تكن في غياب المعرفة، وإنَّما في مقاومة الحقيقة حين تهدِّد البنية النفسية أو الاجتماعية القائمة.

ومن أخطر الآليات النفسية التي يكشفها القرآن أيضًا صناعة الوَهْم بالتفوّق. فالمُستكبِر يحتاج دائمًا إلى بناء صورة متخيَّلة عن ذاته بوصفه أرقى، أو أحقّ، أو أعلم، أو أقوى من الآخرين. ولذلك، كان خطاب (إبليس) قائمًا على المقارنة المتعالية: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ [الأعراف: ١٢]. إنّها منطق كامل يقوم على تحويل الاختلاف إلى مبرِّر للاستعلاء، فتتولَّد كثير من أشكال العنصرية والطبقية والاستعمار الثقافي والحضاري؛ لأنّ المُستكبِر يرى الآخر مادة للهيمنة أو التبعية لا شريكًا في الإنسانيّة.

وبناء على تقدَّم، نفهم البُعد المعرفي العميق للاستكبار في القرآن. فالمُستكبِر يحاول إعادة تعريف الحقيقة نفسها. ولذلك قال (فرعون): ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ**﴾ [غافر: ٢٩].

ولهذا يكثر في القرآن الحديث عن "التزيين" و"الصدّ عن السبيل"؛ لأنّ الاستكبار يحتاج دائمًا إلى تشويه الوعي كي يستمرّ. يقول تعالى: ﴿**فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [النحل: ٦٣]. إنّ المُستكبِر لا يرى نفسه غالبًا بوصفه ظالمًا بل يعيد إنتاج خطاب يبرِّر سلوكه، ويمنحه شرعية خُلُقية، أو حضارية، أو أمنية، أو دينية، فتتجلَّى خطورة الاستكبار حين يتحوَّل إلى قدرة على قلب المفاهيم نفسها، فيصبح الظلم حماية للنظام، والاحتلال نشرًا للحضارة، والاستغلال دفاعًا عن الحرية.

ومن الآليات النفسية الخطيرة التي يكشفها القرآن كذلك: الخوف من فقدان الامتيازات. فالمُستكبِر ليس دائم الثقة، كما يبدو، بل يحمل في داخله خوفًا عميقًا من انهيار موقعه. ولذلك، كانت مقاومة الأنبياء عليهم السلام مرتبطة دائمًا بالخوف على السلطة أو الثروة أو النفوذ. يقول -تعالى- عن ملأ (فرعون): ﴿**أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ**﴾ [الأعراف: ١٢٧]. إنّهم يرون التحرُّر فسادًا؛ لأنّ أي وعي جديد يهدِّد البنية التي تحفظ امتيازاتهم.

يعيش الاستكبار -غالبًا- على صناعة الخوف الجماعي. فالمُستكبِر يحتاج إلى إقناع الناس بأنّ بقاءه ضرورة للاستقرار، وأنّ أي محاولة للتحرُّر ستؤدِّي إلى الفوضى أو الانهيار، فكانت

الدعاية إحدى أهم أدوات الطغيان عبر التاريخ. فالهيمنة لا تقوم على القوة وحدها بل على إدارة الإدراك الجمعي وإنتاج القناعات التي تجعل الناس يقبلون القهر بوصفه أمرًا طبيعيًّا أو ضروريًّا.

تبدو المقاربة القرآنية شديدة العمق في فهم الاستكبار المعاصر. فالعالم اليوم لا يُدار فقط عبر القوَّة العسكرية بل عبر التحكُّم بالإدراك، وصناعة الصور الذهنية، وإعادة تشكيل الرغبات والمخاوف والقيم. لقد أصبحت وسائل الإعلام، والمنصَّات الرقمية، والصناعات الثقافية، وأدوات الذكاء الاصطناعي، جزءًا من معركة الوعي الكبرى. فإنّ المُستكبِر الحديث لا يحتاج دائمًا إلى احتلال الأرض ما دام قادرًا على احتلال العقول.

إنّ أخطر ما يواجه الإنسان اليوم ليس فقط الاستكبار الظاهر بل الاستكبار الذي ينجح في التسلُّل إلى داخل الوعي حتى يصبح جزءًا من طريقة التفكير نفسها. فالإنسان قد يتحوَّل إلى أداة داخل منظومة الهيمنة، وهو يظنّ أنّه يمارس حُرِّيَّته كاملة، فتتَّضح أهمية القرآن في تحرير الإدراك قبل تحرير الواقع؛ لأنّ المعركة الحقيقية تبدأ من استعادة الإنسان لقدرته على رؤية الحقيقة خارج الضجيج الذي تصنعه قوى الاستكبار.

إنّ القرآن، وهو يفكِّك البنية النفسية والمعرفية للاستكبار، لا يريد فقط أن يحذِّر من الطغاة بل يريد أن يحذِّر الإنسان من القابلية الداخلية للاستكبار أيضًا؛ لأنّ كلّ لحظة يتحوَّل فيها الهوى إلى مرجعية أعلى من الحقّ، وكلّ لحظة يحتقر فيها الإنسان الآخرين أو يبرِّر الظلم حفاظًا على مصلحة أو امتياز، تبدأ بذور الاستكبار بالنمو داخله.

رابعًا: الاستكبار في العالم المعاصر - تحوُّلات الأدوات وثبات الجوهر

حين يعرض القرآن الكريم نماذج المُستكبِرين عبر التاريخ، فإنَّه يريد بناء وعي قادر على اكتشاف الاستكبار بأشكاله المتجدِّدة. فالاستكبار هو منطق دائم يعيد إنتاج نفسه كلّما توفَّرت أدوات الهيمنة وإرادة السيطرة. فإنّ أخطر ما في الاستكبار المعاصر أنّه أكثر تعقيدًا ومرونة

من النماذج القديمة؛ لأنَّه استطاع أن يطوّر أدواته بما يتناسب مع تحوُّلات العالم، بينما بقي جوهره قائمًا على احتكار القوَّة والمعنى والحقّ.

فالاستكبار القديم كان -غالبًا- مباشرًا وصريحًا، أمَّا الاستكبار الحديث، فقد أصبح أكثر قدرة على التخفِّي داخل الشعارات الإنسانية والاقتصادية والثقافية. لقد باتت الهيمنة تُمارس أحيانًا باسم الحُرية، ويُعاد تشكيل الشعوب باسم الديمقراطية، وتُدمَّر الدول تحت عنوان "حماية النظام العالمي" أو "مكافحة الإرهاب". ومن هنا، تبدو المقاربة القرآنية شديدة العمق؛ لأنَّها تكشف عن أنّ الاستكبار يُقاس بالبنية التي ينتجها: بنية السيطرة والإخضاع، وإعادة تشكيل الإنسان بما يخدم مراكز القوَّة.

حين يتحدَّث القرآن عن المُستكبِرين يربطهم دائمًا بمحاولة "العلو في الأرض". يقول تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص: ٨٣]. إنّ "العلوَّ" هنا لا يعني مجرَّد التفوّق المادي بل إرادة الهيمنة التي تجعل بعض القوى ترى نفسها وَصِيَّة على العالم، وصاحبة الحقّ في تحديد مصائر الشعوب، والثقافات، والاقتصادات، وحتى القِيم الخُلُقية.

ولعلّ أبرز تحوُّلات الاستكبار الحديث تكمن في الانتقال من الاحتلال العسكري المباشر إلى الهيمنة الناعمة. لقد أصبحت وسائل الإعلام العالمية، ومنصَّات التواصل، والصناعات الثقافية، وأدوات الترفيه، جزءًا من معركة السيطرة على الوعي.

إنّ واحدة من أخطر أدوات الاستكبار المعاصر هي صناعة الإدراك الجماعي. فالإنسان اليوم يعيش داخل سيل هائل من الصور والخطابات والمعلومات التي لا تنقل الواقع فقط بل تعيد إنتاجه وفق مصالح القوى المهيمنة، حيث يصبح الإعلام أداة لإعادة تعريف المجرم والضحية، والمقاوم والإرهابي، والمحتلّ والمتحضر. وحين تحدَّث القرآن عن "تزيين الأعمال" أو "الصدّ عن السبيل" كان يكشف آلية عميقة ما تزال فاعلة حتى اليوم، وإن اختلفت الوسائل والأدوات.

لا يفصل القرآن بين الاستكبار والترف. يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا**﴾ [الإسراء: ١٦]. فالترف حالة حضارية تنتج الانفصال عن القيم وتحويل الإنسان إلى كائن استهلاكي فاقد للمعنى. ومن هنا، فإنّ الاستكبار الحديث لا يحتاج دائمًا إلى القمع المباشر؛ لأنّ السيطرة قد تتحقَّق أحيانًا عبر إغراق الإنسان في الاستهلاك واللهو، وإعادة تشكيل رغباته، بحيث يصبح عاجزًا عن التفكير خارج المنظومة المفروضة عليه.

ومن أخطر تجلِّيات الاستكبار المعاصر أيضًا الهيمنة الثقافية. فالقوى الكبرى تسعى إلى تصدير تصوُّرها للإنسان، والأسرة، والجنس، والحُرية، والدين، والمعنى. فيتحوَّل الإعلام، والتعليم، والفنّ، والمنصَّات الرقمية إلى أدوات لإعادة هندسة الهوية الإنسانية عالميًا. ولذلك، فإنّ الصراع المعاصر هو صراع على تعريف الإنسان نفسه.

وفي هذا السياق، تبرز التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي بوصفها واحدة من أخطر ساحات الصراع الجديدة. فهذه الأدوات تحمل إمكانات هائلة لخدمة الإنسان، لكنَّها قد تتحوَّل أيضًا إلى وسائل غير مسبوقة للرقابة، والتحكُّم، وتوجيه الإدراك، وصناعة الرأي العام.

إنّ أخطر ما في الاستكبار المعاصر أنّه لم يعد يحتاج دائمًا إلى فرض الطاعة بالقوة؛ لأنَّه يسعى إلى إنتاج إنسان يتبنَّى قيم الهيمنة طوعًا، ويعيد إنتاجها من داخل وعيه وسلوكه اليومي.

إنّ الاستكبار المعاصر، رغم كلّ ما يملكه من أدوات وتقنيات وقوَّة ناعمة وصلبة، يبقى امتدادًا لذلك المنطق القديم الذي واجهه الأنبياء عليهم السلام عبر التاريخ: منطق العلوّ في الأرض، واحتكار الحقيقة، وإخضاع الإنسان لمنظومات القوَّة. ولأجل ذلك لا يقدّم القرآن مواجهة الاستكبار بوصفها معركة ظرفية مرتبطة بزمان أو مكان، بل بوصفها معركة دائمة بين مشروع يريد تحرير الإنسان لله، ومشروع يريد تحويله إلى تابع داخل أنظمة الهيمنة مهما تغيّرت أسماؤها وشعاراتها.

خامسًا: المُستضعَفون في القرآن – من الضحية إلى الفاعل التاريخي

إذا كان القرآن الكريم قد كشف طبيعة الاستكبار وآليّاته، وبناه النفسية والحضارية، فإنَّه في المقابل لم يقدّم المُستضعَفين بوصفهم مجرَّد ضحايا عاجزين يدورون داخل دائرة القهر دون أفق بل قدّمهم بوصفهم محورًا رئيسًا في حركة التاريخ وسُنَن التغيير. فالقرآن ينظر إلى الاستضعاف باعتباره حالة قابلة للتحوُّل حين يستعيد الإنسان وعيه وإرادته وصلته بالله تعالى. فالحديث عن المستضعفين في القرآن ليس حديثًا عن الشفقة بل عن مشروع تحرُّر تاريخي وخُلُقي وحضاري.

يفرّق القرآن بوضوح بين "الضعف" و"الاستضعاف". فالضعف قد يكون حالة طبيعية ترتبط بالقدرات والإمكانات، أما الاستضعاف فهو عملية تُمارَس على الإنسان أو الجماعة بهدف سلب الإرادة، وتحويلهم إلى أدوات داخل منظومة الهيمنة. ولهذا، قال -تعالى- عن (فرعون): ﴿**إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ**﴾ [القصص: ٤]. فليس الاستضعاف وصفًا ذاتيًّا لبني إسرائيل بل سياسة مقصودة هدفها إنتاج جماعة مكسورة نفسيًّا واجتماعيًّان حتى يسهل التحكُّم بها.

يكشف القرآن عن أنّ الاستكبار يعمل على تحطيم البنية النفسية للمُستضعَفين، عبر نشر الخوف، وإضعاف الثقة بالذات، وتحويل الناس إلى كائنات فاقدة للإرادة. فإنّ أخطر آثار الهيمنة هو إنتاج عقلية العجز والاستسلام، حتى يصبح القهر جزءًا من الوعي اليومي.

لكنّ القرآن، في مقابل ذلك، يرفض تحويل المُستضعَفين إلى هوية سلبية دائمة، فتأتي الآية المحورية في هذا السياق: ﴿**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾ [القصص: ٥]. إنّها واحدة من أكثر الآيات القرآنية كشفًا لفلسفة التاريخ في القرآن؛ لأنّها لا تتحدَّث فقط عن رفع الظلم، بل عن انتقال المُستضعَفين من موقع التبعية إلى موقع القيادة. فالقرآن يريد للمُستضعَف أن يتحوَّل إلى فاعل خُلُقي وحضاري يعيد بناء التاريخ على أساس العدل.

يبدأ التحرّر في الرؤية القرآنية من الوعي قبل السلاح، ومن استعادة الكرامة قبل استعادة السلطة. ولهذا كان أول ما فعله موسى عليه السلام ليس بناء جيش، وإنَّما إعادة بناء الوعي داخل الجماعة المُستضعَفة. فالإنسان الذي اقتنع بعجزه لا يمكن أن يتحرَّر حتى لو امتلك أدوات القوَّة؛ لأنّ الهزيمة الحقيقية تبدأ حين تستقرّ داخل النفس.

ويكرِّر القرآن الدعوة إلى عدم الخضوع النفسي للمُستكبِرين. يقول تعالى: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا**﴾ [آل عمران: ١٣٩]. إنّها دعوة إلى مقاومة الانكسار الداخلي الذي تحاول منظومات الهيمنة إنتاجه باستمرار. فالاستكبار يعيش دائمًا على إقناع الآخرين بأنَّه قوَّة لا تُقهر، وأنّ مقاومته عبثية، وأنّ العالم لا يمكن أن يتغيَّر. فإنّ أوَّل انتصار للمُستضعَفين هو كسر صورة المُستكبِر المطلقة داخل الوعي.

لا يربط القرآن التمكين بالعدد، أو الثروة، أو القوَّة المادية وحدها بل بالإيمان والوعي والثبات. يقول تعالى: ﴿**كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فإنّ الوعي القرآني يعيد تعريف القوَّة نفسها؛ فالقوَّة تكمن في ما يملكه الإنسان من بصيرة، وصبر، وقدرة على الثبات أمام محاولات الإخضاع.

وفي هذا السياق تبرز قيمة "الصبر" في القرآن بوصفها فعل مقاومة لا حالة سلبية. فالصبر القرآني قدرة على الثبات وعدم الانهيار أمام الضغط النفسي والسياسي والحضاري. ولذلك، قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا**﴾ [السجدة: ٢٤]. إنّ القيادة هنا مرتبطة بالصبر؛ لأنّ معركة التحرُّر تحتاج إلى قدرة على مقاومة الإحباط، والخوف، والتضليل.

ومن اللافت أيضًا أنّ القرآن يكشف مسؤولية بعض المُستضعَفين عن استمرار الاستضعاف حين يتحوَّلون إلى شركاء في منظومة الهيمنة عبر الخوف، أو التبعية، أو تبرير الظلم. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ * قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ * قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ**﴾ [النساء: ٩٧]. فالقرآن لا يحوِّل الاستضعاف إلى ذريعة تلغي المؤسولية الخُلُقية بالكامل، وإنَّما يميّز بين من فُرض عليه القهر فعلاً، وبين من استسلم له حتى صار جزءًا من استمراره.

ليس التحرّر في الرؤية القرآنية مجرَّد انتقال سياسي بل إعادة بناء للإنسان نفسه. فالقرآن لا يريد استبدال مُستكبِر بمُستكبِر آخر، بل يريد تأسيس مجتمع يقوم على العدل وعدم العلوّ في الأرض. فحين يرث المُستضعَفون الأرض لا ينبغي أن يعيدوا إنتاج الفرعونية بصورة جديدة بل أن يتحوَّلوا إلى حملة رسالة خُلُقية تحفظ كرامة الإنسان. وفي العالم المعاصر تبدو هذه الرؤية القرآنية شديدة الأهمية؛ لأنّ كثيراً من الشعوب تعيش اليوم أشكالاً متعدِّدة من الاستضعاف السياسي والاقتصادي والثقافي والإعلامي. فهناك أُمم تُستنزف ثرواتها، وتُعاد صياغة وعيها، وتُدفع نحو فقدان الثقة بتاريخها وهويتها، وقدرتها على النهوض. فإنّ أخطر أشكال الاستضعاف الحديث ليس الفقر وحده بل إقناع الشعوب بأنّها عاجزة بطبيعتها، وأنّ الهيمنة العالمية قدر لا يمكن مقاومته.

إنّ القرآن، وهو يتحدَّث عن المُستضعَفين، لا يزرع فيهم عقلية الضحية بل يبني فيهم وعي الرسالة. ولذلك، فإنّ المُستضعَف الحقيقي هو من لم يفقد إنسانيَّته رغم القهر، ومَن لا يزال قادرًا على رؤية الحق والتمسُّك به، وعدم الذوبان داخل منظومة الاستكبار. ومن هنا، فإنّ التاريخ في الرؤية القرآنية لا تصنعه دائمًا الإمبراطوريات الكبرى، وإنَّما قد تصنعه جماعات قليلة امتلكت البصيرة والإرادة والثبات، فاستطاعت أن تكسر منطق الهيمنة، وتعيد فتح الطريق أمام الإنسان نحو الحرية، والعدل، والهداية.

سادسًا: نحو قراءة قرآنية معاصرة لمواجهة الاستكبار

إنّ أخطر ما يمكن أن يحدث مع المفاهيم القرآنية الكبرى هو أن تتحول إلى عناوين وعظية منفصلة عن حركة الواقع والتاريخ. ولا يكتمل الحديث عن الاستكبار في القرآن بمجرَّد توصيف المُستكبِرين أو استحضار النماذج الماضية، بل يقتضي بناء قراءة معاصرة قادرة على اكتشاف البنية الاستكبارية في العالم الحديث، وفهم أدواتها الجديدة، واستعادة الوظيفة التحريرية للقرآن بوصفه كتابًا يصنع الوعي، ويعيد تشكيل الإنسان في مواجهة كل أنماط العلو والهيمنة.

إنّ أول ما تحتاجه الأمة اليوم هو تجاوز القراءة الاختزالية للاستكبار بوصفه مجرَّد عنوان سياسي أو شعار تعبوي. فالاستكبار في القرآن أعمق بكثير من أن يُختزل في دولة أو جغرافيا أو حدث مرحلي؛ لأنَّه منطق متكامل يقوم على تأليه القوة، واحتكار الحقيقة، وتحويل الإنسان إلى تابع داخل منظومات الهيمنة. فتبدأ مواجهة الاستكبار من إعادة بناء الوعي القادر على فهم كيف تعمل الهيمنة داخل الثقافة، والإعلام، والاقتصاد، والتعليم، وأنماط الحياة اليومية.

ولهذا، فإنّ القراءة القرآنية المعاصرة مطالبة بتفكيك الخطاب الاستكباري الذي يغلّف الهيمنة بلغة خُلُقية وإنسانية براقة. فكثير من مشاريع السيطرة الحديثة تُقدَّم اليوم تحت عناوين "الدفاع عن الديمقراطية" أو "حماية حقوق الإنسان" أو "الحفاظ على الأمن العالمي"، بينما تُمارَس في الواقع أشكال هائلة من الإخضاع والاستنزاف والسيطرة على الشعوب والموارد والثقافات. وعلى هذا الأساس، تتجلَّى أهمية المنهج القرآني الذي ينظر إلى البنية الفعلية التي تنتج الظلم والفساد والعلو في الأرض.

وفي هذا السياق يصبح من الضروري استعادة مركزية المفاهيم القرآنية في فهم الواقع المعاصر. فالقرآن يكشف البنى الحضارية التي تنتج الطغيان والاستضعاف. فإنّ مفاهيم مثل: الاستكبار، والاستضعاف، والفساد، والترف، والطغيان، هي أدوات تحليل عميقة لفهم حركة التاريخ والمجتمع والقوة.

تكمن واحدة من أخطر الإشكاليات المعاصرة في أنّ بعض المجتمعات قد تنجح في التحرُّر السياسي بينما تبقى خاضعة ثقافيًا ونفسيًا لمنظومات الاستكبار. فقد تستعيد الأُمَّة أرضها لكنَّها تخسر وعيها، أو تمتلك قرارها السياسي بينما تظل أسيرة للمعايير الفكرية والقيمية التي يفرضها الآخر. وانطلاقًا من ذلك، يركّز القرآن على تحرير الإنسان من الداخل؛ لأنّ الهزيمة الحضارية تبدأ غالبًا حين يفقد الإنسان ثقته بهويته وقيمه وقدرته على إنتاج المعنى.

إنّ بناء المناعة الثقافية والخُلُقية يصبح جزءًا رئيسًا من معركة مواجهة الاستكبار. فالإنسان

الذي يفقد بوصلته القيمية يصبح أكثر قابلية للاختراق مهما امتلك من إمكانات مادية. ومن هنا تأتي أهمية إعادة وصل الأجيال بالقرآن بوصفه كتاب وعي، وحركة، وتحرير.

واستنادًا إلى ذلك، فإنّ العودة إلى القرآن هي عودة إلى الميزان الذي يمكّن الإنسان من رؤية الواقع بوضوح وسط هذا التشابك الهائل من الخطابات والصور والمصالح. فالقرآن يكشف أنّ الاستكبار مهما تطور تقنيًا أو إعلاميًا يبقى قائمًا على الوَهْم نفسه: وهم القدرة المطلقة والعلو الدائم. ولذلك يذكّر القرآن دائمًا بحتمية سقوط الطغيان مهما بدا متماسكًا. يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٤٠].

إنّ القراءة القرآنية المعاصرة لمواجهة الاستكبار تهدف فقط إلى تأسيس مشروع وعي يعيد للإنسان حُرِّيته الداخلية وقدرته على التمييز وعدم الانبهار بالقوة.

وفي المحصِّلة، تبقى الرسالة القرآنية واضحة عبر كل العصور: أنّ معركة الإنسان الحقيقية ليست فقط ضدّ مُستكبِر خارجي بل ضد كل قابلية داخلية للانبهار بالقوة أو الخضوع للباطل أو تحويل الذات إلى مركز للحقيقة. ولذلك فإنّ القرآن لا يكتفي بإسقاط أصنام الحجر، بل يسعى إلى إسقاط أصنام الوعي أيضًا؛ لأنّ التحرر الحقيقي يبدأ حين يدرك الإنسان أنّ الكرامة لا تُستمد من الخضوع للمُستكبِرين، بل من العبودية لله وحده.

وفي الختام، لا بدَّ من الإشارة إلى أن أبحاث هذا العدد قد جاءت على الشكل الآتي:

حيثُ تناولت دراساتُ المحور: «الاسْتِكْبَارُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: دِرَاسَةٌ فِي الطَّبَائِعِ وَالأَنْوَاعِ»، و«أَسَالِيْبُ المُستكبرين فِي السَّيْطَرَةِ وَالتَّضْلِيْلِ وَاسْتِضْعَافِ الشُّعُوبِ – نَمَاذِجُ قُرْآنِيَّةٌ –»، و«حَتْمِيَّةُ هَلَاكِ المُستكبرينَ وَنَجَاةُ المُستضعَفينَ -دِرَاسَةٌ سُنَنِيَّةٌ قُرْآنِيَّةٌ-»، و«الاسْتِكْبَارُ فِي الرُّؤْيَةِ القُرْآنِيَّةِ: البِنْيَةُ الدَّلَالِيَّةُ وَآلِيَّاتُ الهَيْمَنَةِ عَلَى الوَعْيِ وَالمُجْتَمَعِ وَالمعيَارِ».

أمَّا بابُ الدراساتِ والبحوثِ القرآنيَّة، فقد خُصِّصَ للغوص في «مَنْهَجِيَّةُ التَّعبيرِ عَن النِّقَاطِ التَّربَوِيَّةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ: سُوْرَةُ الحُجُرَاتِ أُنْمُوْذَجًا»، مضافًا إلى قراءةٍ في كتاب: «السِّيَاسَاتُ الاسْتِكْبَارِيَّةُ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ».

وبذلك نأمل أن يسهم هذا العدد في ترسيخ قراءة قرآنيَّة واعية، تعيد توجيه النقاش نحو القيم، وتحرّر الإنسان من السرديات المغلقة، وتؤسس لوعي حضاري يجعل القرآن مصدرًا للهداية في عالم مضطرب، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء: ٩].

والله الموفق إلى سواء السبيل.